

أداة المصطلحات عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن سمات ونماذج

بحث مقدم لمؤتمر

الدراسات الحديثة في تفسير النص القرآني - رؤية تقييمية
كرسي الشيخ علي القرعاوي للقرآن وعلومه - جامعة القصيم

إعداد الدكتور

محمد بن راشد بن محمد البركة
الأستاذ المشارك بكلية الشريعة بجامعة القصيم

١٤٤١هـ - ٢٠٢٠م

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء وخاتم المرسلين، نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، وبعد :

فإن ظاهرة ما يسمى بالقراءة المعاصرة للقرآن، وأصحابها الذين لا زالوا يقذفون بسمومهم في ساحة الثقافة الإسلامية بشتى الوسائل، لا تزال بحاجة إلى كثير من الدراسات النقدية الكاشفة عن حقيقتها وتقنياتها الظاهرة أو الخفية، وحين قمت برصد تلك الجهود النقدية المباركة في بحث سابق^(١) لفت نظري من خلال العناوين فقط ذلك الحشد الهائل من المصطلحات الغربية الغريبة المأخذ، فبدأ لي أحقيتها بأن تفرد ببحث خاص يستجلي شيئاً من سماتها ودلالاتها، ويكشف ما فيها من خطر كامن خفي، وهو ما حاولت الإمام بطرف منه صغير في هذا البحث القصير .

أهمية البحث :

تنبع أهمية هذا البحث من تعلقه بأداة من أخطر الأدوات التي يستعملها أصحاب الأطروحات القرائية المعاصرة للقرآن؛ لتمرير كثير من المفاهيم والأفكار المعادية لأمتنا وديننا وقرآننا، وهي (أداة المصطلحات) فاجتمع في هذا البحث خطورة الأداة (المصطلحات) وخطورة أصحابها (أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن) .

مشكلة البحث :

يقوم البحث على سؤال عريض هو : ما أبرز السمات التي تتصف بها المصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن؟ وما أبرز نماذجها؟ وكيفية ارتباط تلك المصطلحات بالمفاهيم والأفكار الغربية الكامنة فيها؟

أهداف البحث :

يهدف البحث لاستجلاء أبرز السمات التي تتصف بها المصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن، وذكر أبرز نماذجها، وبيان كيفية ارتباط تلك المصطلحات بالمفاهيم والأفكار الغربية الكامنة فيها .

الدراسات السابقة :

الكتابات والبحوث المتعلقة بطرفي البحث كثيرة جداً، سواء ما يتعلق بموضوع المصطلح والمصطلحات، أو

(١) نشر بعنوان (الجهود النقدية للقراءات المعاصرة للقرآن- رصد وتحليل) في مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية بجدة، العدد (٢٧) عام ١٤٤٠ هـ .

ما يتعلق بأطروحات أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن ونقدها .

لكني بعد البحث والتقصي لم أجد من أفرد مصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن بالبحث، سوى مقال صغير بعنوان (المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالم) نشر في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م، في أقل من ثلاث صفحات، ثم جعله كاتبه في مطلب خاص بالعنوان نفسه ضمن المبحث الأول من الفصل الأول من رسالته الدكتوراه (القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير) في صفحتين ونصف تقريباً^(١) .

وهذا المقال أيضاً خاص بسمة واحدة فقط من السمات السبع التي تناولتها في بحثي هذا، عدا النماذج الخمسة عشر من المصطلحات التي سلطت الضوء عليها في المبحث الثاني من هذا البحث .

حدود البحث :

بالنسبة للسمات السبع في المبحث الأول لم أقتصر فيها على نوع معين من السمات، بل شملت السمات اللفظية اللغوية، والسمات الضمنية المعنوية، وأما النماذج الخمسة عشر من المصطلحات في المبحث الثاني فقد اجتهدت في اختيارها بالنظر لاعتبارين :

- ١- تحقق بعض السمات المذكورة في المبحث الأول، لتكون أمثلة تطبيقية تجلّي المقصود أكثر.
- ٢- مركزية المصطلح المختار وأهميته، وكثرة تداوله عند أصحاب القراءة المعاصرة، ودلالته على فكرة محورية في أطروحاتهم .

منهج البحث وإجراءاته :

انتهج البحث المنهج الاستنباطي لأبرز السمات التي تتصف بها المصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن، وأبرز نماذجها، مستعملاً الإجراءات الثلاثية التالية:

- ١- بيان المقصود بالسمة إن لم يكن ظاهراً، مع ذكر مثالين أو ثلاثة لمصطلحات تتحقق فيها تلك السمة، مجرد تعداد فقط، وترك الشرح والإيضاح للنماذج المفردة في المبحث الثاني .
- ٢- محاولة التدليل على اتصاف مصطلحاتهم بتلك السمات من خلال كلام أصحابها إن تيسر، أو من كلام الباحثين في نقد تلك القراءات ما أمكن .
- ٣- لم أعمد إلى تفصيل القول في المصطلحات النماذج في المبحث الثاني، بل اقتصر على بيان مراد أصحاب القراءة المعاصرة بها إجمالاً، ثم الإشارة إلى ما يتعلق بذلك المصطلح من سمات .

خطة البحث :

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة، على النحو التالي :

(١) ص ٦٦ - ٦٨

المقدمة : وفيها مشكلة البحث وأهدافه ومنهجه وإجراءاته وخطة البحث والدراسات السابقة

التمهيد : أهمية المصطلحات وخطورتها

المبحث الأول : أبرز سمات مصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة، وفيه مطالب :

المطلب الأول : الغموض والضبابية

المطلب الثاني : الاستيراد والترجمة

المطلب الثالث : القطيعة والإحلال

المطلب الرابع : التوليد والتناسل

المطلب الخامس : الحداثة والتجدد

المطلب السادس : الخصوصية والفردية

المطلب السابع : المنافرة للعربية

المبحث الثاني : نماذج للمصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة، وفيه مطالب :

المطلب الأول : القراءة والتأويل وإعادة الفهم

المطلب الثاني : الهرمنيوطيقا والإبستمولوجيا

المطلب الثالث : الحداثة والمعاصرة والتجديد

المطلب الرابع : الخطاب والنص والتراث

المطلب الخامس : التاريخية والتاريخانية

المطلب السادس : الأنسنة والألسنة

الخاتمة : وفيها أهم النتائج والتوصيات

*** **

التمهيد :

أهمية المصطلحات وخطورتها

المصطلحات جمع مصطلح، ويعرّف لدى المختصين (الاصطلاحيين) بأنه : لفظ يضعه أهل عرف أو اختصاص معيّن؛ ليدلّ على معنى يتبادر إلى الذهن عند إطلاق ذلك اللفظ^(١) .

ويمكن الإلماح إلى أهمية المصطلحات وخطورتها من خلال ما يلي :

أولاً : المصطلحات مفاتيح العلوم، وعن طريقها تنتقل المعارف، ويسهل ضبطها وتعلمها ودراستها، فهي كالمعيار الضابط لفهم المتلقي والقارئ لكلام المتحدث والكاتب وتجليه مقاصده .

ثانياً : كثرة الكتب والمؤلفات في المصطلحات العامة والخاصة في شتى العلوم والفنون، فلا يخلوا علم من العلوم من مؤلفات مفردة في بيان مصطلحات ذلك الفن، عدا ما يكون مضمناً في معظم كتب ذلك الفن، وخصوصاً كتب الشروح والحواشي وما شابهها .

ثالثاً : العناية الخاصة في الآونة الأخيرة بالدراسات المصطلحية، حتى ظهر في بعض الجامعات فرع معرفي خاص بدراسة المصطلح دراسة نظرية ومنهجية دقيقة، وعقدت فيه المؤتمرات والندوات والمحاضرات المتخصصة^(٢) .

رابعاً : سهولة التواصل المعرفي وانتقال المعلومات في العصر الحاضر، مما يزيد في خطورة هذا الانتقال السريع للمصطلحات من ثقافة إلى أخرى ومن دوائر العلماء والمختصين إلى الفضاء العام للمثقفين والقراء والمتلقين، دون فرز أو تنقيح أو تقنين أو توجيه، مما أفرز كثيراً من التشوهات المعرفية، والخلط المقصود أو غير المقصود في كثير من المفاهيم والقضايا العلمية الخطيرة .

خامساً : الحمولة المعرفية المكثفة المكتنزة في المصطلحات، يجعلها شبيهة بالكبسولات الدوائية المركزة، مما يستدعي الكثير من الحذر والحيطه في التعامل معها، وعدم أخذها أو تلقيها إلا بوصفة من أهل العلم والاختصاص؛ نظراً لخطورتها الشديدة، وآثارها المضاعفة .

سادساً : إدراك أعداء الأمة الإسلامية لما سبق من خطورة المصطلحات وكونها سلاحاً ماضياً في أيدي الأمم القوية في غزوها للأمم المغلوبة، والتأثير على هويتها وثقافتها الخاصة، فهي كما عبّر كثير من الكتاب

(١) انظر : المصطلحات الوافدة : ص ١٨

(٢) من الجهود التي يجدر ذكرها والتنويه بها في هذا المجال ما يقوم به معهد الدراسات المصطلحية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس سايس المغرب، بالتعاون مع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) التي أسسها ويشرف عليها أ.د.الشاهد البوشيخي، من عديد الإصدارات والمؤتمرات والملتقيات العلمية في مجال الدراسات المصطلحية الجادة .

والناصحين (حرب مصطلحات)^(١) ضمن جبهات حروب كثيرة، ليست بأقل خطراً منها، إن لم تكن مثلها أو أشد، فتعالق صيحاتهم في التحذير من ذلك (الغزو الفكري) المسلط على الأمة الإسلامية، الذي تمثل (حرب المصطلحات) إحدى أهم أدواته وأسلحته الفكرية المملوغة^(٢) .

*** **

-
- (١) انظر في استعمال هذا المصطلح (حرب المصطلحات) : النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٣٥ - ٢٣٦ ، المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالم، مقال منشور في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨ م .
- (٢) انظر في أهمية المصطلحات وبيان خطورتها والتحذير من حرب المصطلحات : المواضع والاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى لبكر أبو زيد، المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية للهيثم زعفان، التقييد والإيضاح لقولهم (لا مشاحة في الاصطلاح) لأبي عبد الرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى .

المبحث الأول :

أبرز سمات مصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة

تنسجم المصطلحات التي يكثر تداولها عند أصحاب القراءة المعاصرة بسمات وصفات لفظية ومعنوية لا تنفك عنها في الغالب، وقد يجتمع في المصطلح الواحد جميع تلك الصفات أو أغلبها، وقد يتصف بعضها ببعضها، لكن يندر عدم اتصاف شيء من تلك المصطلحات بجميع تلك السمات وخلوها منها تماماً . ومعظم تلك السمات التي سأذكرها في المطالب التالية- إن لم يكن جميعها- سمات سلبية، وإن كانت في أحيانٍ قليلة أو نادرة يمكن اعتبارها سمات محايدة توجد في عموم المصطلحات .

المطلب الأول : الغموض والضبابية

هذه السمة تكاد تكون أبرز سمات مصطلحاتهم وأشهرها، وهي مقصد ووسيلة في الوقت ذاته، مقصد يريدون تحقيقه من وراء السمات الأخرى- كالاستيراد والترجمة، والقطيعة والإحلال، والحادثة والتجدد، والمنافرة للعربية- وهي وسيلة أيضاً بل هي من أكبر وسائلهم لتحقيق غاياتهم من استعمال تلك المصطلحات، ومن أهم تلك الغايات والأغراض ما يسمى بسلطة الغموض^(١)، وهي داخلة في جملة (حرب المصطلحات) التي يقومون بها ضد الأمة وتراثها- كما سبق في التمهيد- .

وهذا الأمر ليس جديداً، بل قام به أهل الفلسفة قديماً، حين نقلوا علوم اليونان وغيرهم وأدخلوها على أهل الإسلام، كما بيّن ذلك ابن تيمية في قوله : "ولكن هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتل في لغات الأمم معانٍ متعددة، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم، ثم ركبوها وألفوها تأليفاً طويلاً بنوا بعضه على بعض، وعظّموا قولهم وهؤلوه في نفوس من لم يفهمه، ولا ريب أن فيه دقة وغموضاً لما فيه من الألفاظ المشتركة والمعاني المشتبهة، فإذا دخل معهم الطالب وحاطبوه بما تنفر عنه فطرته، فأخذ يعترض عليهم، قالوا له أنت لا تفهم هذا، وهذا لا يصلح لك، فيبقى ما في النفوس من الأنفة والحمية يحملها على أن تسلّم تلك الأمور قبل تحقيقها عنده، وعلى ترك الاعتراض عليها خشية أن ينسبوه إلى نقص العلم والعقل"^(٢) .

ويوحى كلام ابن تيمية السابق أن الغموض الموجود أو المقصود في تلك المصطلحات الدخيلة أو المعرّبة هو من أشد الأمور تأثيراً على كثير من القراء والمتلقين؛ فيظهر المشاكلة وعدم الاعتراض خشية التهمة بعدم

(١) انظر : مآلات الخطاب المدني : ص ٢٤٠ وما بعدها .

(٢) درء تعارض العقل والنقل : ١ / ٢٩٥

الفهم ونقص العلم والفهم^(١) .

وهذه الفكرة يستعملها كثير من الكتاب للتأثير على القراء والإيحاء بعمق الأفكار التي يتناولونها، مع أن الأمر في حقيقته بعكس ذلك؛ إذ هو دليل على ضعف الكاتب وعدم وضوح الأفكار وتبلورها بشكل يساعده على التعبير عنها بسهولة وبعد عن التعقيد والغموض^(٢) .

الغريب في الأمر أن بعض أصحاب القراءة المعاصرة ورموزها انتقدوا ذلك أو لاحظوه على الأقل، حيث ذكر حسن حنفي وهو من رموزهم أن من أسباب فشل بعض أصحابه أو (أنصار الجديد) كما سماهم: تشدقهم بألفاظ صعبة على الجمهور، تضفي على القائلين بها صفة التعالم؛ وكأن الإنسان لا يغيّر واقعه ولا يثور عليه إلا بهذه اللعبة من الألفاظ^(٣) .

كما أطال هاشم صالح -وهو الذي تولى ترجمة معظم كتب وبحوث محمد أركون^(٤)- في تقرير الإشكال الكبير والصعوبة البالغة في فهم وترجمة كثير من المصطلحات الواردة عند أركون، وأنه لا يزال متردداً في بعضها حتى الآن! ^(٥) .

وقد مثل أحد الباحثين بثمانية عشر (١٨) مصطلحاً ينطبق عليها وصف الغموض والضبابية^(٦) وذكر منها ثلاثة مصطلحات سيأتي تناولها في المبحث الثاني هي: الأنسنة، والإبستمولوجيا، والهرمنيوطيقا .

كما صنع بعض الباحثين في نقد القراءة المعاصرة فهارس للمصطلحات التي شرحوها^(٧) .
وتجدر الإشارة إلى أن الغموض الذي يكون في بعض المصطلحات قد يكون مردّه إلى غموض المصطلح الأصلي - أي عند أصحابه الغربيين - فهناك عدد من المصطلحات التي لا يعرف المراد بها تحديداً حتى عند واضعيها الأصليين^(٨)، وربما كان الأمر عائداً إلى عدم الفهم الدقيق للمصطلح المستورد عند مستعمله من أصحاب القراءة المعاصرة، فيقع بسبب ذلك اضطراب في استعماله يؤدي إلى إشكال عند القارئ .

(١) انظر : مآلات الخطاب المدني : ص ٢٤١

(٢) انظر : المصدر السابق : ص ٢٤٤ وما بعدها ، وانظر أيضاً : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٣٨

(٣) انظر : التراث والتجديد لحسن حنفي : ص ٤٣

(٤) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١٧٧ (الحاشية ١)

(٥) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي

المعاصر؟ لأركون) : ص ١-١٧ ، وانظر أيضاً : القراءات المعاصرة للدكتور محمد كالمو : ص ٦٨

(٦) انظر : القراءات المعاصرة للدكتور محمد كالمو : ص ٦٧

(٧) انظر مثلاً : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٤٤٩ ، موقف المدرسة العقلية المعاصرة للدكتور البعداني :

ص ١٠٣٥/٢

(٨) انظر مثلاً في مصطلحي (النبوية، والتفكيكية) : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١٣٣، ١٣٨

على أن المصطلحات الخاصة ببعض رموز القراءة المعاصرة قد تكون سبباً مؤدياً إلى الضبابية في تحديد مفهوماها، أو الوقوع في تعميم المفهوم على الجميع، كما سيأتي مزيد إيضاح لذلك في المطلب السادس .

المطلب الثاني : الاستيراد والترجمة

شرح أحد أهم الذين قاموا بهذا الأمر، وهو (هاشم صالح) الذي ترجم معظم أعمال محمد أركون، شرح الإشكال الكبير في ترجمة ذلك النوع من الأعمال؛ حيث إن معظم المنهجيات والأفكار (الحديثة) مستوردة من الخارج (الغرب) بشكل أو بآخر، وتلك العلوم الإنسانية بكل مصطلحاتها وتراكيبها نتاج تجربة الغرب الخاصة؛ وأكّد على ضرورة فهم تلك المصطلحات في لغتها الأصلية فهماً دقيقاً، ثم إيجاد المقابل العربي والإسلامي الدقيق، مع حاجة تلك المصطلحات إلى التحوير والتعديل لكي تتلاءم مع بيئتها الجديدة!!^(١).

ثم راح يمثّل لبعض تلك المصطلحات التي وقع له فيها الإشكال عند ترجمتها ، مثل : الأبتستمية، والدوغمائية، والمصطلحات التي على وزن فعلويّ وفعلوية (كإسلاموي وإسلاموية)، والتفكيك، وبعض المصطلحات الألسنية أو السيميائية (الدلالية) وغيرها^(٢) .

ومن الأمثلة على المصطلحات المترجمة عندهم : المصطلحات المنتهية بـ (لوجي - لوجيا) التي تعني (علم) مثل : الإيستمولوجي - الإيسمولوجيا، الديماغوجي - الديماغوجيا^(٣) .

وهذه السمة لا تحتاج إلى إثبات أو تقرير، فالقراءة في أي منتج لأصحاب القراءات المعاصرة ستواجهك بالحشد الكبير من تلك المصطلحات المستوردة والمترجمة، ويمكن إلقاء نظرة على ما جمعه الدكتور الريسوني في المسرد الخاص بمصطلحات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم^(٤) .

يقول أحد الباحثين في نقد هذه القراءات : "إن المصطلح النقدي الحدائثي في الغرب يستمد القدر الأعظم من دلالاته من الخلفية الفلسفية الفكرية الغربية التي استمرت عدة قرون ... ولذلك فاستعارة المنظومة الحدائثية الغربية بمصطلحاتها ودلالاتها المشحونة بتاريخها الفلسفي ، وبتكوينها الاجتماعي والثقافي وإخراجها من دائرتها الدلالية وإسقاطها في بيتنا العربية وعلى تراثنا الإسلامي ، وعلى ثقافتنا المغايرة ، يسبب كثيراً من

(١) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي

المعاصر؟ لأركون) : ص ٢ - ٥

(٢) انظر : المصدر السابق : ص ٦ - ١٤

(٣) انظر : بدعة إعادة فهم النص : ص ٩٩

(٤) انظر : النص القرآني من ثقافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٥٣١

اللبس والاضطراب والفوضى والعشوائية" (١) .

ويعلل بعض أصحاب القراءة المعاصرة لكثرة الاستيراد والترجمة بفقر اللغة العربية في مصطلحات العلوم الإنسانية المنتشرة في الغرب (٢) ، وهذا حق من جهة لكنه ليس الحل الصحيح لهذه المشكلة، إذ الأولى توليد مصطلحات من داخل المعجم العربي؛ لتكون متوافقة مع ديننا وثقافتنا الإسلامية شكلاً ومضموناً (٣) . وهذه السمة تتعلق بالسمة التالية (القطيعة والإحلال) لأن الإحلال إنما يكون عن طريق الاستيراد والترجمة .

المطلب الثالث : القطيعة والإحلال

أصحاب القراءة المعاصرة يجهدون في القطيعة مع كل ما هو إسلامي، ويكثرون من النقد لما يسمونه (التراث) ويدخل فيه كل منتجات علماء الإسلام في شتى العلوم . ومن طرقهم في ذلك هجر وترك المصطلحات الإسلامية المعروفة (أي القطيعة معها) وإبدالها بمصطلحات جديدة (أي إحلال بدليل عنها) والغالب أن يكون هذا البديل مستورداً ومترجماً عن المصطلحات الغربية، كما سبق ذكره في المطلب السابق .

وللتدليل على هذه الفكرة عند القوم، يحسن الاستشهاد بكلام لحسن حنفي - وهو من رموزهم - حيث يقول تحت عنوان (الخلاف في اللغة) : "يستعمل السلفيون ألفاظاً تقليدية تراثية قديمة ، تأتي من العلوم الإسلامية في لحظة نشأتها وتكوينها وتطورها، واكتماها في القرون السبعة الأولى دون تطوير أو تغيير أو تبديل أو تحديث في القرون السبعة التالية، لا يفهمها إلا أهل الاختصاص في المعاهد الأزهرية والجامعات الدينية ، والمشايخ والعلماء ورجال الدين، مثل : الإيمان، والكفر، والشرك، وهي ألفاظ تتطلب البحث عن معانيها المتجددة ... أما الخطاب العلماني فإنه يستعمل في المقابل ألفاظاً حديثة، نشأت من الوافد الثقافي الغربي، وإن كانت معانيها في كثير منها لا تختلف عن معاني الألفاظ السلفية" (٤) .

إذن هو الهوس بالجديد ولو كان وافداً ثقافياً غريباً، حتى في التعبير عن مصطلحات شرعية إسلامية صرفة كالإيمان والكفر والشرك !! وهذا الإقرار الصريح من أحد رموزهم ينبئ عن خطورة مسلكهم، وأن ما يقومون

(١) العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور الطعان : ص ٧٣٩

(٢) انظر : القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي : ص ٤١٧

(٣) انظر مقالاً بعنوان : المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالمو، منشور في ملتقى أهل التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م .

(٤) في الثقافة السياسية لحسن حنفي : ص ٢٥٤ - ٢٥٦ ، وانظر : القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي : ص ٤١٧

به من تحريف واسع للدين الإسلامي يمرُّ عبر تحريف مصطلحاته والقطيعة معها وإحلال مصطلحات غريبة جديدة مستوردة ومترجمة^(١) .

وفي السياق نفسه يختار أركون مصطلح (الظاهرة القرآنية) بدلاً عن مصطلح (القرآن) بعد تأكده أنه فعل ذلك عن قصد، ويعلل صنيعه ذلك بقوله: "لأن كلمة (قرآن) مثقلة بالشحنات والمضامين اللاهوتية"^(٢)، وبالتالي فلا يمكن استخدامها كمصطلح فعّال من أجل القيام بمراجعة نقدية جذرية لكل التراث الإسلامي"^(٣) .

ومثله نصر أبو زيد في محاولته استبدال مصطلح (الآيات) بمصطلح (العلامات)^(٤) .

المطلب الرابع : التوليد والتناسل

المراد بهذه السمة هو ما يقوم به كثير من أصحاب القراءة المعاصرة من تشقيق للمصطلحات، وجعل المصطلح الواحد مصطلحين أو ثلاثة بعدة طرق .

وتشقيق المصطلحات يمكن ملاحظته بوضوح عند استعراض المسرد الخاص بمصطلحات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم الذي صنعه الدكتور الريسوني^(٥) ؛ حيث تجد كثيراً من المصطلحات المتوالدة والمتناسلة من أصل واحد- وتكون متفقة المعنى عند بعضهم ومختلفة عند آخرين- ومنها مثلاً : مصطلحات : (التاريخية، والأرخنة، والتاريخانية، والتاريخوية) وكذلك : (البنية، والبنوية، والبين نص) وكذلك (العقلانية، والعقلنة) .

ومما يلتحق بذلك أيضاً : إضافة وصف على المصطلح الأصلي، وهذا كثير عندهم، مثل مصطلحات : (الإسلام ، والقارئ أو القراءة، والوحي) حيث أضيف لكل منها أكثر من عشرة أوصاف، مثل : (الإسلام ستجد من الأوصاف التي ألحقت به : الإسلام الإثني، الإسلام الشعبي، الإسلام الكلاسيكي، الإسلام

(١) انظر : القراءات المعاصرة للدكتور محمد كالمو : ص ٦٧

(٢) يريد أركون بالشحنات والمضامين اللاهوتية : ما يثيره مصطلح (القرآن) في نفس المسلم من هيبة ورهبة وخشوع، تحمله على صيانة مقدساته وصدِّ العابثين عنها، انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٣٦ ، وانظر أيضاً : موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير للدكتور البعداني : ١ / ٢٥٢ - ٢٥٤

(٣) الفكر الأصولي واستحالة التأصيل : ص ١٩٩ ، وانظر أيضاً : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٢٧ - ٢٣٦

(٤) انظر : النص السلطة الحقيقة لنصر أبو زيد : ص ٢٤٢ - ٢٤٣ ، النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٧١ ، ولا إشكال في أن الآية في اللغة تأتي بمعنى العلامة، لكن الاعتراض على تغييره للمصطلح المشهور .

(٥) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٥٣١

الوعظي، الإسلام الدوغمائي، الإسلام الأرثوذكسي ... إلخ^(١) .

وقريب من ذلك : الجمع بين مصطلحين في مصطلح واحد، كما في المثال الأخير؛ حيث جمع بين الإسلام وكل من : الإثنية، والدوغمائية، والأرثوذكسية .
ويشبه ذلك أيضاً النحت، أي نحت مصطلح واحد من مصطلحين، مثل : العقل والإيمان = العقلية، ومثل : الزمان والمكان = الزمكان، والماركسية والإسلام = الماركسية الإسلامية^(٢) .
وكما هو الهدف من التوليد والتناسل في الكائنات الحية فهو كذلك عند أصحاب القراءة المعاصرة في توليد مصطلحاتهم وتناسلها، وهو تكثير عددها ومضاعفة آثارها على القارئ، التي منها زيادة الغموض والضبابية، وتكثيف الصعوبة والإغلاق في تبين المراد من الكلام لدى المتلقي .

المطلب الخامس : الحداثة والتجدد

لا شك أن للتجدد سحراً ليس للمعروف المكرور، ولمصطلحي التجديد والحداثة حضور دلالي وفكري لا يخفى، وسيأتي الإشارة لشيء من ذلك عند ذكر هذين المصطلحين في المبحث التالي .
وقد سبق - في المطلب الثالث - الاستشهاد بكلام أحد رموز القراءة المعاصرة يدل على تقصدهم لذلك، ومنه قوله : " أما الخطاب العلماني فإنه يستعمل في المقابل ألفاظاً حديثة، نشأت من الوافد الثقافي الغربي، وإن كانت معانيها في كثير منها لا تختلف عن معاني الألفاظ السلفية " ^(٣) .
ولما كانت أفكار هؤلاء ومناهجهم مستوردة ومنقولة عن الفكر الغربي (الحديث) ؛ فبالضرورة ستكون مصطلحاتهم كذلك، فهو فكر وافد على الثقافة الإسلامية بمصطلحاته ومضامينه، وألفاظه ومعانيه .
وهذا التجديد والتحديث في المصطلحات يتشابه ويتعاقد مع سمات أخرى كانت كالوسيلة له :
كالاستيراد والترجمة، والتوليد والتناسل، والقطيعة والإحلال .

المطلب السادس : الخصوصية والفردية

المقصود بهذه السمة : اختصاص فئة أو فرد من أصحاب القراءة المعاصرة بمصطلحات تكثر عنده أكثر من غيره، أو لا يستعملها غيره .
وفي ذلك يقول أحد الباحثين : "تعدد أساليب القراء المعاصرين (كغيرهم) في استخدام المفردات تبعاً

(١) انظر : النص القرآني من تهافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٥٣١

(٢) انظر : القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي : ص ٤١٨

(٣) في الثقافة السياسية لحسن حنفي : ص ٢٥٤ - ٢٥٦

لتخصصاتهم، فالذي يكتب بخلفية فلسفية يكثر من استخدام مصطلحات فلسفية، والذي يكتب بخلفية أدبية يصيغ كتاباته بمصطلحات الأدب المعاصر، وهكذا" (١) .

ويقول باحث آخر : " وهذا ما نعيشه اليوم بالفعل؛ حيث ذهب كل باحث يترجم ويستورد ويصطلح لنفسه؛ حتى أصبحت أزمة الفكر اليوم أزمة مصطلحات، والحوار لم يعد مجدياً؛ لأن كل المفكرين يتحدثون بلغات مختلفة، وبمصطلحات متباينة، فلم يعد بإمكان الباحث أن يتواصل مع غيره بالطريقة المحدية، لأن المصطلحات غير مضبوطة المعاني، وتحتل المعنى ونقيضه، فليس بإمكان أحد أن يلزم أحداً شيئاً لأنه سيقول مباشرة : أنا لا أقصد هذا المعنى !! " (٢) .

ومن أشهر الأمثلة على هذه السمة : المصطلحات التي على وزن (فعلوي وفعلوية) في مقابل (فعلية وفعلية) وأكثر من يستعمل هذه الطريقة اثنان : محمد أركون وطيب تيزيني، فهما يجعلان : إسلاموي، في مقابل (عكس) إسلامي، أي : الإسلاموي هو الذي يمثل الإسلام المتطرف، والإسلامي يمثل الإسلام المعتدل، وعقلانوي مقابل عقلاني، وهكذا، وهي طريقة توجد عند غيرهما من أصحاب القراءة المعاصرة، لكن بدرجة أقل (٣) .

وهم يزعمون أنهم لجؤوا إلى هذا الصنيع لأجل الدقة في المصطلحات، والحقيقة أنها مجرد ترجمة لظواهر لغوية (اصطلاحية) في بعض اللغات الأجنبية (٤) .

المطلب السابع : المنافرة للعربية

تنضح المصطلحات القرائية المعاصرة بصور شتى من منافرة العربية أفصح اللغوي (٥)، وهي منافرة مقصودة، لإبعاد المسلمين عن مصادر دينهم (القرآن والسنة) وعن كتب أسلافهم وعلمائهم، والقطيعة مع ذلك كله، ليسهل بعد ذلك إحلال البديل من الوافد المحجين؛ فتكتمل المعادلة الظالمة شكلاً ومضموناً والله المستعان . وقد صرح بعضهم بأن العودة إلى قواميس اللغة العربية تحنيط لللسان وعقبة أمام التحديث، تعرقل المفاهيم

(١) القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلبي : ص ١٧٤

(٢) العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور الطعان : ص ٧٣٩ - ٧٤٠

(٣) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ لأركون) : ص ١١ ، العلمانيون والقرآن الكريم للدكتور الطعان : ص ١٨٣ - ١٨٥

(٤) انظر : المصدرين السابقين .

(٥) هذا التعبير مقتبس من عنوان رسالة الشيخ بكر أبو زيد : المواضع والاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغوي، وذكر

أن (اللغوي) جمع (لغة) وهو أحد مجموعها، كما تجمع على لغات، ولغون ، انظر : فقه النوازل : ١ / ١٠٦

الجديدة التي يجب أن تسود بعد زحزحة المفاهيم القديمة^(١) .

وقد سبق في المطلبين : الثاني (الاستيراد والترجمة) والرابع (التوليد والتنازل) ذكر صور عديدة لتلك المنافرة^(٢)، ومما لم يذكر سابقاً : قيام بعضهم باشتقاق مصادر عربية من أصول غير عربية؛ كاشتقاق مصدر (سستمة) من الكلمة الإنجليزية (system) ومعناها (نظام)^(٣) .

ومن الأمثلة الطريفة في هذه السمة : ما صنعه الأستاذ يوسف الصيداوي حين أَلَّف كتاباً في نقد كتاب (الكتاب والقرآن - قراءة معاصرة) لمحمد شحرور، من الناحية اللغوية فقط، جعل عنوانه (بيضة الديك) ويقع في (٢٦٤ ص) ذكر في مقدمته أنه عنونه بذلك العنوان الساخر^(٤) لأنهم كانوا يزعمون أن الديك يبيض مرة واحدة في حياته، وكذلك المؤلف (يعني شحرور) لم يقل صواباً في كتابه غير العبارة الأولى منه فقط !!
ويجب التأكيد على أنه لا يعفيهم من المسؤولية اعتذار أحدهم بفقر اللغة العربية في مصطلحات العلوم الإنسانية المنتشرة في الغرب^(٥)، إذ الأولى توليد مصطلحات من داخل المعجم العربي؛ لتكون متوافقة مع ديننا وثقافتنا الإسلامية شكلاً ومضموناً^(٦) - كما سبق - .

*** **

(١) انظر : القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي : ص ٤١٦

(٢) انظر أيضاً : بدعة إعادة فهم النص : ص ٩٨ - ٩٩

(٣) انظر : القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي : ص ٤١٨

(٤) انظر : بيضة الديك : ص ١٠ ، ووصف العنوان بالساخر من عندي وليست من المؤلف !!

(٥) انظر : القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي : ص ٤١٧

(٦) انظر مقالاً بعنوان : المصطلحات الضبابية عند أصحاب القراءات المعاصرة، للدكتور محمد كالمو، منشور في ملتقى أهل

التفسير على الشبكة، عام ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م .

المبحث الثاني :

نماذج للمصطلحات المتداولة عند أصحاب القراءة المعاصرة

- سبق في حدود البحث- في المقدمة- الإشارة إلى أن النماذج الخمسة عشر من المصطلحات التي ستُذكر في هذا المبحث تُؤخَّج في اختيارها النظرُ لاعتبارين :
- ١- تحقق بعض السمات المذكورة في المبحث الأول؛ لتكون أمثلة تطبيقية تجلِّي المقصود أكثر.
 - ٢- مركزية المصطلح المختار وأهميته، وكثرة تداوله عند أصحاب القراءة المعاصرة، ودلالته على فكرة محورية في أطروحاتهم .
- ومن جهة تقسيم المصطلحات على المطالب؛ فإنني تحرَّيت جمع المصطلحات المتقاربة في المضمون أو في السمة اللفظية في مطلب واحد .

المطلب الأول : القراءة والتأويل وإعادة الفهم

يطلق أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن مصطلح (القراءة) ويريدون به معنى خاصاً يكون للقارئ فيه دور في إنتاج المعنى، وإذا وصفوه بالمعاصرة، أو الجديدة، أو الحديثة، ثم أضافوه إلى القرآن أو النص الديني - كما يسمونه- فيكون مرادهم بهذا المصطلح المركَّب (القراءة المعاصرة للقرآن) حينئذٍ هو : " تفسير وتأويل القرآن الكريم وفق المناهج الغربية الحديثة في تحليل ودراسة النصوص"^(١).

ويلحظ في التعريف السابق ذكر مصطلح التأويل في أوله، أي أن القراءة والتأويل هما مصطلحان - عند أصحاب القراءة المعاصرة- بمعنى واحد، ويحتملان المدلول نفسه^(٢) .

الجدير بالذكر هنا أن أصحاب القراءة المعاصرة يرفضون مصطلح (التفسير) ويقدمون عليه مصطلح (التأويل) لأن كلمة (تفسير) - كما يقولون- في أصل استخدامها تعني الواضح البين، وهي بهذا المعنى لا تعكس المعنى المقصود من حركة الذهن المعرفية إزاء موضوع المعرفة، وهو المعنى الذي تدل عليه كلمة (تأويل)^(٣).

ويقول أحد الباحثين تعقيماً على ذلك : "التفسير يرمي فقط إلى الكشف عن مراد قائل النص ومعنى

(١) انظر: القراءات المعاصرة للقرآن الكريم، للدكتور محمد كالمو : ص ٥٣- ٥٦ ، القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلاميين للشلفي:

ص ٣١- ٣٥

(٢) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٣٣- ٣٤

(٣) انظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص ٤٢١

الخطاب وهو ما لا يكتفي به الخطاب العلماني، لأنه يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى انتهاك النص عن طريق التأويل، لأن التأويل صرف اللفظ إلى معنى يَحتمله، بل يطمح إلى أكثر من ذلك، إلى التفكيك الذي يقطع الصلة بين النص وقائله وبين المعنى واحتمالاته^(١)، أي أنهم هربوا من الصرامة في مصطلح (التفسير) إلى المرونة في مصطلح (التأويل) ليتخذوا منه قنطرة للوصول إلى فوضى منهج (التفكيك) وغيره من المناهج الغربية الحديثة التي ليس لها ضوابط واضحة^(٢).

أما (إعادة الفهم) فهو مصطلح مرادف للقراءة الجديدة أو المعاصرة تماماً؛ لأن الإعادة هنا بمعنى ترك الفهم السابق (وهو فهم علماء المسلمين السابقين) واستبدالها بفهم (قراءة- تأويل) جديد معاصر!^(٣).

المطلب الثاني : الهرمنيوطيقا والإبستمولوجيا

تعرف (الهرمنيوطيقا) بأنها "فن تأويل النصوص" ، وأصل إطلاق هذا المصطلح وأكثر استعمالاته متعلق بتأويل النصوص المقدسة الإلهية، ثم توسع مفهومه ليشمل جميع النصوص، بما فيها النصوص البشرية^(٤). وإطلاق هذا المصطلح عند أصحاب القراءة المعاصرة يأتي غالباً بمعنى المصطلحات الثلاثة (القراءة، والتأويل، وإعادة الفهم) السابق ذكرها في المطلب السابق . إذن هو مصطلح رابع بمعنى قريب، لكنه ليس الأخير، بل يوجد غيره من المصطلحات، مثل : المقارنة، أو التفكيك^(٥).

لكن مصطلح (الهرمنيوطيقا) بسبب نشأته في أحضان الدراسات النصرانية اللاهوتية لدراسة الكتاب المقدس لديهم؛ يكتسب دلالة معينة من هذه الجهة، تعطيه بعداً عقائدياً غريباً، ثم بعداً فكرياً غريباً عاماً، بخلاف مصطلح (التأويل) ذي الأصل والدلالة الإسلامية الظاهرة، ولذلك يفضلهم بعض على مصطلح (الهرمنيوطيقا) لذلك، وبعضهم يفضل مصطلح (القراءة) لكونه محايداً من الناحية المصطلحية من حيث الأصل.

أما مصطلح (الإبستمولوجيا) فهو يعني : الدراسة النقدية للعلوم الدقيقة والإنسانية، وهو أيضاً : فرع من

(١) العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص ٤٢١

(٢) انظر : المصدر السابق، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٣٣ - ٣٤

(٣) انظر : بدعة إعادة فهم النص : ص ١٥

(٤) انظر : العلمانيون والقرآن : ص ٦٧٥ وما بعدها ، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٣٤ ، ٧٣ وما بعدها،

النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٥٦ وما بعدها .

(٥) انظر : المصادر السابقة .

الفلسفة يعنى بدراسة تاريخ العلوم ومناهجها ومبادئها وعلاقتها المتداخلة، ويعرَّب أحياناً بمصطلحات أخرى مثل (فلسفة العلوم) و (نظرية المعرفة)^(١) .

وهو أيضاً مصطلح نشأ وترعرع في الفكر الفلسفي الغربي، ثم تمَّ استيراده ومحاولة تطبيقه على الدراسات الإسلامية، والتراث الإسلامي من قِبَل هؤلاء وأساتذتهم المستشرقين قبلهم .
وقد جمعت بين هذين المصطلحين في هذا المطلب - مع اختلاف المراد بكل منهما - لظهور الأصل غير العربي فيهما ظهوراً جلياً، حيث تمَّ استيرادهما كما هما دون تغيير أو تعريب !!

المطلب الثالث : الحداثة والمعاصرة والتجديد

هذه المصطلحات متقاربة المعنى، ولا تأتي غالباً مستقلة عن غيرها، وإنما تكون وصفاً متمماً لما قبلها، مثل قولهم : قراءة معاصرة، أو جديدة، أو حديثة، أو تأويل حديثي، ونحو ذلك .

فمصطلح الحداثة مثلاً يدور مفهومه عند أصحابه على معنى نبذ كلَّ قديم ثابت، بما في ذلك القيم والشرائع والعقائد، ورفض السائد والمألوف، وهو اتجاه فكري غربي نشأ مع النهضة الأوروبية الحديثة، والثورة على الكنيسة وسلطتها، والتقاليد والموروثات المتجذرة في العالم الغربي حينذاك^(٢) .

أما المعاصرة أو العصرية فهما مصطلحان يميلان مفهومهما متقارباً عند الأغلب، ويطلق على أي على الاعتقاد بأن التقدم العلمي والثقافة المعاصرة يستلزمان إعادة تأويل التعاليم الدينية التقليدية على ضوء المفاهيم الفلسفية والعلمية الحديثة، وهو أيضاً مصطلح وافد أطلق على بعض الحركات التحررية داخل الكنيسة أو آخر القرن التاسع عشر^(٣) .

وأما مصطلح (التجديد) فهو يختلف عن المصطلحين السابقين في كونه مصطلحاً حاضراً في الثقافة الإسلامية بمعنى (تجديد الأحياء والإعادة) لكنه في الآونة الأخيرة تمَّ اختطافه وتحويل مراده إلى (تجديد الإحداث والتحريف والابتداع) أي بمفهوم مقارب للمصطلحين السابقين (الحداثة، والمعاصرة)^(٤) .

على أن بعض الباحثين الناقدون لهذا الاتجاه يفرِّق بين مصطلحي (المعاصرة أو العصرية أو الجديدة) ومصطلح (العصرية) لأن الأولين وصفان محايدان، بخلاف الثاني الذي يدلُّ على التوجه المنحرف

(١) انظر : الإبستمولوجيا التكوينية للعلوم للدكتور طعمة : ص ١٣ ، المعجم الفلسفي : ١ / ٣٣

(٢) انظر : الموسوعة الميسرة : ٨٧٧ وما بعدها، النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٤٢٣

(٣) انظر : مفهوم تجديد الدين : ص ٩٨

(٤) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١٦٦ وما بعدها، مآلات الخطاب المدني : ص ٣١٦ وما بعدها،

مفهوم تجديد الدين : ص ١٢٠ وما بعدها .

لأصحابه^(١).

وفي مقابل هذه الأوصاف التي تحملها هذه المصطلحات يتم إطلاق أوصاف عكسية على ما يضادها، مثل : التقليدية، والتراثية، والإحيائية، فيقولون مثلاً (القراءة التقليدية) أو (الفهم التراثي) ونحو ذلك^(٢).

المطلب الرابع : الخطاب والنص والتراث

يفرق أصحاب القراءة المعاصرة بين مصطلحي (الخطاب) و (النص) قياساً على الفرق بين مصطلحي (القرآن) و(المصحف) أي أن القرآن هو الخطاب، والمصحف هو النص، بمعنى أن القرآن كان (خطاباً) في المرحلة الأولية من تبليغ النبي ﷺ له شفهيّاً، فلما جرى تدوين وكتابة ذلك الخطاب المنزل فيما بعد- في عهد الصحابة- أصبح (نصاً) .

ومقصودهم من هذا التفريق الوصول لعدّة أمور أهمها : أن (النص) المكتوب لا يحتوي على كل ما جاء في (الخطاب) الشفهي، أي أن هناك أشياء فقدت بين المرحلتين، قياساً على ما حصل للكتاب المقدس عند النصارى، مما يبين عن الأصل العقدي والفكري لمثل هذه المصطلحات الناشئة في البيئة الغربية^(٣).

أما مصطلح (التراث) فهو كمعظم مصطلحاتهم غير محدد المفهوم تماماً، حيث يراد به عند أصحاب مشاريع إعادة قراءة التراث : الفكر الديني وما يتصل به من تاريخ، وهو بذلك لا يفصل بشكل واضح بين الدين أو النص الديني الذي يأخذ صفة الإلهية، وبين اشتغالات الإنسان (أهل العلم) المتعلقة به والناجئة عنه في العصور السابقة، التي هي جهود بشرية تحتمل الخطأ والصواب^(٤).

وهذا الخلط أو التسوية بين الدين، والتراث الإنساني المتعلق به، تسوية مقصودة يصرحون بها أحياناً بحجة أنه لا انفكاك بين الأمرين عند إرادة تجديد التراث، أو لا يصرّحون به حتى لا يقطعوا على أنفسهم حيلة المناورة التي يتقنونها جيداً، خصوصاً في المصطلحات والمفاهيم .

المطلب الخامس : التاريخية والتاريخانية

مصطلح (التاريخية) بالنسبة للقرآن يعني عند أصحاب القراءة المعاصرة : ارتباط النص القرآني بواقعه وظروفه التي نزل فيها، سواء من جهة الزمان أو المكان أو حال المخاطبين، أي : "ربطه بالبيئة الجغرافية

(١) انظر : قراءة في ضوابط التأويل للدكتورة رقية العلواني : ص ٢٠ ، وانظر : المصدر التالي .

(٢) انظر : مقالاً بعنوان (المحددات الرئيسة للقراءات الحداثية للقرآن) لطارق حجي، في موقع مركز تفسير على الشبكة .

(٣) انظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٤٥٦ وما بعدها .

(٤) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١٦٩ وما بعدها .

والطبيعية والبشرية القبائلية لشبه الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي" كما يشرحه هاشم صالح^(١) مترجم كتب محمد أركون وهو أحد رموزهم، والقول بتاريخية القرآن يعني تغيير دلالاته وفهمه بتغيير تلك المعطيات الزمانية والمكانية وحال المخاطبين^(٢) .

ونظرية (تاريخية النص) من أهم النظريات الحديثة وأكثرها شيوعاً لدى أصحاب القراءة المعاصرة في أطروحاتهم التأويلية للنص القرآني خصوصاً، وللتراث الإسلامي عموماً^(٣) .

ومحمد أركون - كعادته - يصطلح لنفسه التفريق بين مصطلحات : (التاريخية، والأرخنة، والتورخة) وهي بالمعنى السابق ذكره، ويقابلها عنده (التاريخانية، والتاريخوية) ويدلان لديه على المعنى المضاد للأول - أي المعنى السلبي - وهو النظرة المتطرفة في دراسة التاريخ - في نظره -^(٤) .

وهذا التفريق بين المصطلحات المتقاربة في الصيغة من إبداعات أركون نفسه للوصول إلى الدقة في المصطلحات كما يزعم، وقد سبق الإشارة لذلك في المطلب السادس من المبحث الأول المتعلق بسمات المصطلحات، في سمة (الخصوصية والفردية) .

المطلب السادس : الأنسنة والألسنة

يعتبر محمد أركون أول من سلك مصطلح (الأنسنة) - بحسب ما يراه مترجم كتبه هاشم صالح - وأنه أول من نقله عن الفكر الغربي إلى فضاء الفكر العربي المعاصر^(٥)، وهو مشتق من (الإنسان) ويعني : إنكار أي معرفة من خارج الإنسان كالدين أو الوحي، والوحي نفسه لا بد من القول بتحويله من إلهي إلى إنساني، لأن الإنسان هو محور الكون ومركزه^(٦) ، وهو مفهوم فلسفي غربي مرتبط بصراع العلم (علم الإنسان ومكتشفاته الحديثة) مع سلطة الكنيسة الأوربية في بدايات عصر النهضة هناك، ثم تطورت إلى كثير من الفلسفات

(١) القرآن من التفسير الموروث إلى تحليل الخطاب الديني : ص ٢١

(٢) انظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٣٣٢ وما بعدها، النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٠٩ وما بعدها، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١٦٦ وما بعدها .

(٣) انظر : النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٢٠٩ ، ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٢٤٨

(٤) انظر : الترجمة والعلوم الإنسانية محمد أركون نموذجاً (في مقدمة ترجمة هاشم صالح لكتاب أين هو الفكر الإسلامي المعاصر؟ لأركون) : ص ١١ ، العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٢٩٩ - ٣٠٢

(٥) انظر : المصدر السابق : ص ٢٥٢ ، دليل الناقد الأدبي : ص ٥٨

(٦) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ٢٥٢ وما بعدها، العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ٥٠٦ وما بعدها .

الإلحادية، التي تنكر وجود الخالق سبحانه، وتؤلّه الإنسان نفسه^(١) .

أما مصطلح (الألسنة) فهو نسبة إلى علم (اللسانيات - الألسنيات) الحديث، وهو العلم الذي يدرس اللغة البشرية، من أجل اكتشاف القوانين والأحكام العامة المشتركة بين البشر، في جانبها اللغوي، ويقوم على اعتبار اللغة مجموعة من العلامات التي ارتضاها المجتمع؛ حتى يتيح للأفراد التخاطب^(٢) .

وعلم اللسانيات الحديث تطوّر في القرن العشرين على يد عدد من علماء اللغة الغربيين، وهو عنوان عريض يندرج تحته عناوين فرعية تتعلق بالنص، والدلالة، والصوتيات، وغيرها من الأبحاث اللغوية الحديثة^(٣) .
وقد اعتمد أصحاب القراءة المعاصرة على بعض أبحاث هذا العلم الحديثة في قراءتهم التأويلية للقرآن، وخصوصاً الأبحاث المتعلقة بالدلالة (الدال والمدلول بدلاً عن اللفظ والمعنى - واللغة بوصفها حراكاً اجتماعياً - النظرية التزامنية للغة) لكونها تخدم أغراضهم التأويلية، وخصوصاً نظرية (تاريخية النص) التي سبقت الإشارة إليها في المطلب الرابع^(٤) .

*** **

(١) انظر : دليل الناقد الأدبي : ص ٤٩ ، وقد أطلق على هذا المفهوم ذاته مصطلح (الإنسانية) ، وانظر : العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص ٦٠٢ - ٦٠٣

(٢) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١١٧ ، العلمانيون والقرآن للدكتور الطعان : ص ٦٨٤

(٣) انظر : ظاهرة التأويل الحديثة للدكتور السيف : ص ١١٧

(٤) انظر : المصدر السابق : ص ١١٩ - ١٢٣

الخاتمة

وبعد هذا التطواف السريع على أبرز السمات لمصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة للقرآن، والاقتراب من مفاهيم ودلالات نماذج بارزة لتلك المصطلحات، يمكن تسجيل بعض ما تبين لي من نتائج :

١- خطورة المصطلحات الوافدة على الثقافة الإسلامية لا تقتصر على الجانب اللفظي اللغوي البحت من ناحية الترجمة وتشويه الذائقة العربية وإفسادها، بل تتعداه إلى أعماق من ذلك؛ من خلال تسرب المضمون الفكري الغربي النصراني منه أو العلماني الملحد، بشكل معلب لا يظهر لكثير من القراء ما يحويه من سمّ زعاف في جلد أملس .

٢- الغموض والضبابية هي السمة الغالبة على معظم السمات الأخرى لمصطلحات أصحاب القراءة المعاصرة، كونها سبباً لبعضها، أو نتيجة لبعضها الآخر .

٣- أصحاب القراءة المعاصرة ورموزها ليسوا سوى مترجمين ونقله للأفكار الغربية بحذافيرها، بما في ذلك مصطلحات القوم وألفاظهم الخاصة بهم وبخلفياتهم الفكرية والدينية والاجتماعية، ولم يتجشموا العناء في تنقيتها وأخذ ما يناسب ديننا وثقافتنا وطرح ما عداه ، بل ربما كان بعضهم غريباً أكثر من الغربيين أنفسهم في حماسته واندفاعه، والله المستعان !!

وأما أهم توصيات هذا البحث فأمران :

١- أهمية تكثيف التوعية بخطورة المصطلحات الوافدة، وبيان ما تحويه من مفاهيم منحرفة، وتبسيط ذلك ونشره في أوساط المثقفين، وعموم القراء والمتلقين، والتنبيه على أن ذلك جزء من الغزو الفكري للأمة الإسلامية وشبابها، وهو ما يمكن تسميته بـ (حرب المصطلحات) .

٢- العمل على تحقيق المشروع الذي بذر نواته الدكتور قطب الريسوني^(١) في المسرد الذي صنعه لمصطلحات القراءة المعاصرة للقرآن الكريم (سرد فيه ١٦٣ مصطلحاً، مجرد سرد فقط) لكنه أشار إلى أن مشروع المعجم هذا يرمي إلى بيان دلالات تلك المصطلحات، واستجلاء أبعادها المضمرّة، مع توثيق مواطن ورودها في المصادر والأبحاث المعاصرة .

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين .

*** **

(١) انظر : النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر : ص ٥٣١ - ٥٣٧

المصادر والمراجع

- ١- أين هو الفكر الإسلامي المعاصر- من فيصل التفرقة إلى فصل المقال، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى- بيروت لبنان، ط٢، ١٩٩٥م .
- ٢- بدعة إعادة فهم النص، محمد بن صالح المنجد، ساهم في إعداده الفريق العلمي بمجموعة زاد، قدم له فضيلة الشيخ الدكتور صالح بن فوزان الفوزان، مجموعة زاد للنشر، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
- ٣- بيضة الديك- نقد لغوي لكتاب الكتاب والقرآن، ليوسف الصيداوي، المطبعة التعاونية، دمشق.
- ٤- التراث والتحديد- موقفنا من التراث القديم، للدكتور حسن حنفي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر- بيروت لبنان، ط٤، ١٤١٢هـ- ١٩٩٢م .
- ٥- التقييد والإيضاح لقولهم (لا مشاحة في الاصطلاح) ، بقلم أبي عبدالرحمن محمد الثاني بن عمر بن موسى، منشور مصوراً على الشبكة، قام بنشره : أبو مهند النجدي .
- ٦- درء تعارض العقل والنقل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض، ط٢، ١٤١١هـ- ١٩٩١م .
- ٧- دليل الناقد الأدبي، للدكتور ميجان الرويلي والدكتور سعد البازعي، المركز الثقافي العربي- المغرب، ط٣، عام ٢٠٠٢م .
- ٨- ظاهرة التأويل الحديثة في الفكر العربي المعاصر- دراسة نقدية إسلامية، د. خالد بن عبد العزيز السيف، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط١، ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م .
- ٩- العلمانيون والقرآن الكريم - تاريخية النص، لأحمد بن إدريس الطعان، دار ابن حزم في الرياض، ط١، عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م .
- ١٠- الفكر الأصولي واستحالة التأصيل- نحو تاريخ آخر للفكر الإسلامي، محمد أركون، ترجمة وتعليق هاشم صالح، دار الساقى- بيروت لبنان، ط١/ ١٩٩٩م .
- ١١- في الثقافة السياسية- آراء حول أزمة الفكر والممارسة في الوطن العربي، للدكتور حسن حنفي، منشورات دار علاء الدين- دمشق سوريا، ط١، ١٩٩٨م .
- ١٢- القراءات المعاصرة للقرآن الكريم في ضوء ضوابط التفسير، محمد محمود كالمو، دار اليمان بسوريا، ط١، ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م .
- ١٣- القراءات المعاصرة والفقهاء الإسلامي- مقدمات في الخطاب والمنهج، لعبد الولي بن عبد الواحد

- الشلفي، مركز نماء للبحوث والدراسات، ط ١ ، بيروت ، ٢٠١٣ م .
- ١٤- قراءة في ضوابط التأويل وأبعاده المنهجية في الدراسات القرآنية المعاصرة، لرقية طه جابر العلواني، ندوة (دراسة التطورات الحديثة في الدراسات القرآنية المعاصرة) بيروت- لبنان، ٢٠٠٦ م .
- ١٥- مآلات الخطاب المدني، لإبراهيم بن عمر السكران، مركز الفكر المعاصر، ط ١، ١٤٣٥ .
- ١٦- المصطلحات الوافدة وأثرها على الهوية الإسلامية، للهيثم زعفان، مركز الرسالة للدراسات والبحوث الإنسانية- القاهرة، ط ١ ، ١٤٣٠هـ- ٢٠٠٩ م .
- ١٧- المعجم الفلسفي، للدكتور جميل صليبا، دار الكتاب اللبناني، ١٩٨٢ م .
- ١٨- مفهوم تجديد الدين، لبسطامي محمد سعيد، مركز التأصيل للدراسات والبحوث، ط ٣، ١٤٣٦هـ- ٢٠١٥ م .
- ١٩- المواضع في الاصطلاح على خلاف الشريعة وأفصح اللغى- دراسة ونقد (ضمن مجموع فقه النوازل- قضايا فقهية معاصرة) ، لبكر بن عبدالله أبو زيد، مؤسسة الرسالة- بيروت لبنان، ط ١، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦ م .
- ٢٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، إشراف الدكتور مانع الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر- الرياض، ط ٣، ١٤١٨ هـ .
- ٢١- موقع المكتبة العلمية على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
- ٢٢- موقع مركز تفسير للدراسات القرآنية على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
- ٢٣- موقع ملتقى أهل التفسير على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
- ٢٤- موقع مؤسسة البحوث والدراسات العلمية (مبدع) على شبكة المعلومات (الإنترنت) .
- ٢٥- موقف المدرسة العقلية المعاصرة من علوم القرآن وأصول التفسير- دراسة نقدية، لمحمود بن علي بن أحمد البعداني، مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض، ط ١، عام ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥ م .
- ٢٦- النص السلطة الحقيقية- الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة، للدكتور نصر حامد أبوزيد، المركز الثقافي العربي، ط ١ ، ١٩٩٥ م .
- ٢٧- النص القرآني من تحافت القراءة إلى أفق التدبر، لقطب الريسوني منشورات وزارة الأوقاف المغربية، عام ٢٠١٠ م .

*** **